

تاريخ الارسال: 2018-06-25 تاريخ القبول: 2018-07-14 تاريخ النشر: 2018/07/30

الدولة الكونية والقيم المحيئة لها

الباحثة: بن ناصر حاجة

إشراف: أ.د. ملاح احمد

جامعة وهران 2 محمد بن أحمد

كما ساهم الفهم باعتباره مكملاً لدور اللغة ولتوطيد عرى التواصل على تعزيز وترسيخ هذه القيم. وعليه ففيما تتمثل القيم السياسية الهابرماسية المتولدة من الفعل التواصل و المحيئة للدولة الكونية ؟ لا يمكن حصر القيم السياسية التأويلية التي أرسى دعائمها يورغن هابرماس في قيمة واحدة بل استطاع أن يبلور عدة قيم ومفاهيم جراء مشروعه الفلسفي والمتمثل في التواصل وكذا الحداثة، والديمقراطية التداولية أو التشاورية كما يصطلح البعض على تسميتها، ويقارب هابرماس هذه القيم وما تحمله من معنى والناج عن التدفق التأويلي مع الآن والشخصية لكنه الآن في علاقته بأنوات أخرى والمعترف بالعلاقة البيئذاتية الناتجة عن الجمعنة ومن هذه القيم: الهوية، المواطنة، الحق، العدالة،

1 - الهوية:

إسم الهوية ليس عربياً في أصله "وإنما اضطر إليه بعض المترجمين فاشتق هذا الإسم من حرف الرباط، أعني الذي يدل عند العرب على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره وهو حرف هو في قولهم زيد هو حيوان أو إنسان"¹ واسم الهوية مرادف لاسم الوحدة والوجود، قال الفارابي: "هوية الشيء وعينيته، وتشخصه، وخصوصيته، ووجوده المنفرد له كل واحد، وقولنا أنه هو إشارة إلى هويته وخصوصيته، ووجوده المنفرد له الذي لا يقع فيه اشتراك"² ومعنى هذا أن مفهوم الهوية يلزم الشخص المنفرد لا المشترك مع الجماعة وتشير إليه بعينه بكل ما تحمله من

تشكل فكرة تأسيس مجتمع تواصل كوني المشروع الأساسي لفلسفة هابرماس، وهو مشروع يدخل في إطار المجتمعات التي تعيش مرحلة متقدمة من التطور لكن عن أي مجتمعات يتحدث هابرماس؟ إنه لا محالة يتحدث عن المجتمعات الغربية الأوروبية، التي أوصلتها الحداثة إلى التقدم مؤمنة بقدرة العقل اللانهائية في تخليص الإنسان، وتحريره من جميع السلطات ومن الطبيعة إذ أصبحت تمثل بالنسبة للإنسان الأساس في تحويل علاقته بالطبيعة وعلاقة الإنسان بالإنسان، وأعلنت عن رؤية جديدة للإنسان وللعالم، وهو ما يظهر التزايد المستمر لعقلنة المجتمع، وخلف هذه العقلنة إرادة سياسية تسعى إلى توسيع مجال السيطرة والتحكم عن بعد، فحولت التقنية والعلم الإنسان إلى وسيلة من وسائلهما وقمعا إبداعاته وطاقاته، ولعلاج الداء الذي استفحل في المجتمع دعا هابرماس إلى سياسة مجتمع كوني، يضم جميع الفئات من شتى الأجناس، والمتعدد اللغات، والديانات إلى العيش تحت سقف مجتمع واحد قائم على مبدأ التواصل اللامحدود، المحترم لمبدأ الاختلاف، والمركّز على سياسة الرغبة في العيش معاً والاحترام المتبادل، وبالطبع لهذا التجمع أو لنقل الدولة الكونية التي عمل هابرماس على التنظير لها، نظاماً سياسياً محدداً وقيماً ثقافية واجتماعية وسياسية خاصة بها، وهي قيم نتجت لا محالة عن فعل التواصل، وأفرزتها العقلانية التواصلية القائمة على وسيط اللغة،

مواصفات وخصوصيات، وهو يحمل معنى الوحدة والتجانس والتميز وهي خصوصية جوهرية بها يعرف عن غيره ولفظ الهوية ليس مفهوما أصيلا في اللغة العربية وإنما هو من المفاهيم المتسربة إلى الثقافة العربية، وإلى الرصيد اللغوي العربي، ولقد عرفه ابن منظور: "الهوية بئر بعيد المهواة" وهي "الحفرة البعيدة القعر" ³ ويدل هذا المفهوم على عمق معنى الهوية، وعلى استحالة ضبطها في معنى محدد.

ويرجع مصطلح الهوية إلى اللاتينية (Idem)، وتعني الشيء نفسه واشتقت منه (Identicus) التي تفيد الشبيه والنظير، والمماثل، وتعارض ما هو مختلف ومتنوع ⁴ هذا المعنى يظهر لنا أن مفهوم الهوية يتطابق مع معنى الثبات ويتعارض مع مفهوم التغيير، فالشيء هو هو لا يتغير ولا يتبدل فكل واحد منا هويته تجعله ينفرد بها عن غيره.

-ويفرق فتحي المسكيني في كتابه "الهوية والزمان" بين معنى "الهوية بفتح الهاء" identite والتي لا تعدوا أن تكون مجرد "هم" Le On، Das Man عمومي ويومي لملة متبعة بالزمان السياسي لدولة حقوقية لا ترى فيها غير جهاز هويي فحسب، والهوية بضم الهاء Ipseité حيث يصبح الإنسان هو "soi" ⁵

فالهوية بفتح الهاء تشير إلى الأنا الاجتماعي أو نحن أما "الهوية" فتشير إلى الأنا الفردي أي الذات، ومعنى هذا أن الهوية هويتان، هوية فردية تخص المرء وحده وتميزه عن غيره وهوية جماعية يشترك فيها الجميع. وفي اللغة الفرنسية كلمة الهوية Identite تعني "مجموع المواصفات التي تجعل من الشخص ما هو عينه شخصا معروفا ومتعينا"

وهذا المعنى يشير إلى تفرد الأنا وتميزه عن غيره وعدم اشتراك أي شخص آخر في أية خاصية، وهو ما يجعل الأنا يشعر بالوحدة والانسجام مع الذات.

الهوية عند هابرماس:

تتخذ الهوية منزلة خاصة في الفلسفة السياسية الهابرماسية، فإذا كان مفهوم الهوية في الفلسفة الكلاسيكية يرتبط بالشخص وبالفرد من حيث أنه ينجز هويته ويتميز بها عن الآخر المقابل أو المناقض لهويته

الخاصة، فإنها مع هابرماس ترتبط ارتباطا وثيقا بالجماعة فلا يمكن للفرد أن يكون هويته إلا إذا كان منتميا إلى جماعة ولا يمكن أن يبني شخصيته بمعزل عن الآخرين «في الحقيقة لا يمكن لأحد أن يبني شخصيته بمعزل عن أشكال التميز الخاصة بالهوية التي يقوم بها الآخرون بخصوصه» ⁶ ولتحديد دلالة الهوية يميز هابرماس بين الأنا الإستيمية المعرفي والأنا العلمي، فالأنا المعرفي يتميز بمميزات مشتركة مع أنوات أخرى والمتمثلة في القدرات العقلية التي تمكن الإنسان من المعرفة، واللغة، مادامت الأنوات ذوات لها القدرة على النطق وعلى اكتساب اللغة وعلى التواصل والفعل أما عن الأنا العملي فيشكل انطلاقا مما يقوم به الفرد من أفعال ويظهر بوضوح انطلاقا من العلاقات البينذاتية التي يقيمها مع عالمه الاجتماعي، إذ تكشف الهوية عن بعد سوسيولوجي يتجاوز الرؤية الأحادية التي تقصى وجود الآخر وتهمل دورها في بناء الهوية الشخصية «لا يحقق الأنا أشكال التميز الذاتية الخاصة به هو بالذات ويقدم نفسه بوصفه أنا علميا على أنه منخرط في إطار نشاط تواصلية» ⁷

-ويرفض هابرماس تحديد هوية الفرد والأنا بمواصفات فيزيولوجية كلون العينين، القامة، لون الشعر، فهي مقاييس كيميولوجية غير كافية ولأن الأمر لا يتعلق بتحديد هوية شيء أو حدث ولهذا السبب يرفض كل البراهين والحجج التي تدعم الهوية الخاصة بالجسم وأكد على أن تحديد الهوية يرتبط بالمواقف الإنجازية وهي أفعال ينجزها الفرد لها تأثير في المجتمع والفعل الإنجازي هو فعل ينجزه الفرد بالكلام كما هي أفعال مبنية على علاقة بينذاتية بين الأنا والآخر والقائمة على فعل التخاطب وهذه العلاقة لا تقتصر على ذاتين فاعليتين في العالم الاجتماعي بل تتعدى العلاقة [أنا - أنت] إلى علاقة [أنا - أنت - نحن] وعن الهوية الجماعية نحن فتكونها لا يتوقف على الضمير أنتم بل تنشأ داخل نحن علاقات اعتراف يشار إليها (أنا - أنت - نحن) وهي ما يكون الهوية الجماعية «ولتشكل مثل هذه الهويات (هوية جماعية) تكون العلاقة أنا - أنت - نحن كافية ليست العلاقة نحن - أنتم شرطا ضروريا هنا في حين أن العلاقة أنا - أنت ضرورية لتشكيل

هوية شخصية»⁸، ويميز هابرماس بين ثلاثة أنواع من الهوية:

1 - هوية الأشياء والأحداث

وهي الهوية التي تحددها المواصفات الزمانية وكذا المكانية، وتحدد بالاعتماد على ما يسميه هابرماس بالموقف الافتراضي، أي بالإعتماد على مواصفات كيرمينولوجية ويستعين لتوضيحها بمثال الحجر (مثلا لتمييز هذا الحجر الذي أريد التحدث عنه عن الأحجار الأخرى) وللتعبير عن هذه الهوية يستخدم قضايا وصفية تشير فيها الملفوظات إلى أسماء إشارة وتلميحات لهذا الشيء أو الحدث معزولا عن الأشياء والأحداث المشابهة له.

2 - هوية الأشخاص: وهي التي يثبته الأفراد من خلال فعل التواصل وتشكل وحدة الشخص بناء على العلاقة التي يقيمها في مجتمعه مع أشخاص آخرين من نفس المجتمع «يؤكد هابرماس التفاعل بين الذات التي تشكل في مساراتها ذواتا يتشكل وعيها من خلال أفعال الكلام في بنية المجتمع»⁹ وما يميز هوية الفرد هو انتقالها من مستوى أقل تعقيدا إلى مستوى أكثر تعقيدا أي من الأسرة التي تحدد هوية الفرد وترسم مبادئه ومعالمه الأساسية إلى المدنية والدولة وهي مؤسسات ذات صلاحية معيارية تخلق شعور لدى الفرد بضرورتها ومن ثم عدم إمكانية اختراقها وتجاوزها لأن ذلك يشكل خطرا على هويتهم فالهوية الجماعية تستدعي فضاء اجتماعيا وسياسيا تلتقي فيه مختلف الذات المشكلة للإجماع والمنتمة إلى نفس الإقليم والمجتمع ولناقشة مختلف القضايا، المواضيع المشتركة فيما بينهم ما دامت هذه الذات تشترك في نفس القيم والمبادئ.

3 - هوية الأجهزة العضوية:

وتتمثل في الهوية الطبيعية الخاصة بالكائنات الحية، التي تخرج عن نطاق الهوية البيذاتية المؤسسة على اللغة «لقد ميزت بين الهوية الممنوحة بصورة افتراضية للأشياء والأحداث، والهوية التي يطالب بها الأشخاص لأنفسهم ويثبتونها في العمل التواصل، لكنني لم أشر إلى هوية الأجهزة العضوية التي تحافظ على حدودها الخارجية والتي ليس لها هوية بالنسبة إلينا كملاحظين، بل كذلك هوية بالنسبة للذات»¹⁰ ويستند هابرماس على هذا النوع من

الهوية في تفسير مراحل تطور نمو الطفل خاصة المرحلة الطبيعية (الهوية الطبيعية للطفل) حيث ينتقل الطفل من هوياته الأولى والمرتبطة بالأسرة إلى هوية أكثر تجريد مرتبطة بالمؤسسة السياسية «هذه الهوية الخاصة بالأدوار المتمحورة حول العمر والجنس والمندمجة في الصورة التي يمتلكها الطفل عن جسده الخاص تصبح تجريدية أكثر فأكثر وأكثر فردية في الوقت نفسه كلما تملك الطفل بنموه أنظمة أدوار خارج أسرية ويبلغ حتى تلك المرتبطة بالسياسة والتي يحيل تأويلها وتبريرها على تقليد كامل معقد»¹¹.

فهوية الفرد مرتبطة بأدائه للأدوار بدءا بالأدوار المتعلقة بالأسرة والمتمركزة حول الصورة التي يمتلكها الطفل عن جسده أي مرحلة التمايز حيث يتوصل الطفل إلى تمييز أنه عن العالم الخارجي فهو يفكر ويقوم بسلوكات في إطار مرتبط بجسده الخاص تصبح تجريدية أكثر من خلال قيام الطفل بأدوار خارج حدود الأسرة إلى أن يصل إلى القيام بأدوار مرتبطة بالأخلاق والقانون والسياسة.

وسعى هابرماس لإبراز أهمية الهوية الجماعية التي تحدد انتماء الأفراد إلى المجتمع انطلاقا من فهم تدرجات دلالة الهوية وتشكلها عبر التاريخ من القبلية إلى الامبراطورية إلى الدولة الحديثة: «لكن الخيط الهادي عنده ليس تاريخيا بل نقديا إن غرضه هو تحديد الملامح المميزة لتجربة الهوية التي شكلت المواطن البورجوازي الحديث وميزته تميزا عن باقية الإنسانية»¹².

- لقد ارتبط مفهوم الهوية في المجتمعات القديمة بالعرق أي الانتماء العرقي إلى قبيلة ما وما يربط هذه القبيلة بقبيلة أخرى هو صلة القرابة الموجودة بينهم لذلك رأوا أن الاحتكاك الحضاري يشكل خطرا على هويتهم.

- وبالنسبة للمجتمعات الامبراطورية ارتبط مفهوم الهوية بالعقيدة التي تعبر عن الطموح الشمولي لهذه الامبراطورية مما دفعهم لتأسيس جماعة لها قناعة بمصداقية الهيمنة السياسية "من الممكن بشكل أو بآخر جعل السيطرة السياسية قابلة للتصديق بوصفها موروثا خاص بنظام في العالم وبمنطق الخلاص"¹³.

أما في الأزمنة الحديثة: يرتبط مفهوم الهوية بمفهوم الأمة والانتماء لها "الأمة هي شكل الهوية في الأزمنة الحديثة،

أتاحت إبطال التناقض وجعلته مقبولا ذاتيا بين شمولية الحق البرجوازي والأخلاق الجاري بها العمل داخل الدولة من جهة خصوصية كل دولة من جهة أخرى¹⁴ كما اعتبر أن الهوية التي رسمها المجتمع البرجوازي هي هوية كوسموبوليتية تفهم الآن بمعنى الاشتراكية تمثل هدف للممارسة السياسية المستقبلية.

لقد قدم هابرماس طرحا فلسفيا أزاح الطابع التجريدي والميثافيزيقي عن مفهوم الهوية، وألبسها لباس ذي أصول تداولية، فالهوية تشترط فضاء عموميا تواصليا يمكن مختلف الذوات المحققة للإجماع والمتفقة حول معايير من أن تتواصل فيما بينها عبر وسيط اللغة، وتنجز أفعالها عن طريق الكلام والتلفظ، كتحقيق التفاهم والاعتراف.

وبهذا يدعو هابرماس "إلى ضرورة انفتاح الخطاب على الكوني والكونية تستوجب مبادئ كلية بمعنى أنها تتجاوز الخصوصية، وهذا من شأنه أن يجعل الذات تراجع نفسها على ضوء ما يقدمه الآخر من وجهة نظره"¹⁵ كما جعل مبدأ النقاش والحوار أساسا لكل ممارسة سياسية فالهوية والمواطنة وكذا الديمقراطية تقوم أساسا على هذا المبدأ لا على مبدأ الوعي التاريخي بوحدة الدين واللغة والتاريخ في الدولة والأمة.

2- المواطنة: citoyenneté

مفهوم المواطنة مشتق من الوطن و"واطن القوم عاش معهم في وطن واحد، ومنه المواطن، وهو الذي يتمتع بالحقوق التي يتمتع بها أبناء دولته أو مدينته، كما قال آلان: الطاعة والمقاومة ضروريتان لكل مواطن، الأولى ضرورية لحفظ نظام المجتمع، والثانية ضرورية لصيانة الحرية وبقاءها"¹⁶

والوطن بالمعنى العام منزل الإقامة والوطن الأصلي هو المكان الذي ولد به الإنسان أو نشأ فيه، والوطن بالمعنى الخاص هو البيئة الروحية التي تتجه إليها عواطف الإنسان القومية، ويتميز الوطن عن الأمة Nation، والدولة Etat، بعامل وجداني خاص، وهو الارتباط بالأرض وتقديسها، لاشتمالها على قبور الأجداد"¹⁷

ومنه فإن مفهوم المواطنة يرتبط بمفهومين أساسيين وهما الوطن: أي البلد الذي ينتمي إليه المواطن كرقعة جغرافية

محددة لا تضم عدد معين من الأشخاص ومسقط رؤوسهم، فالمواطنة بهذا المعنى تعني الانتماء إلى الأرض وإلى الجماعة والمجتمع وما يزر به من عادات وتقاليده وقيم، وديانة وينمي هذا الانتماء الشعور بالمواطنة وتقديس الرقعة التي ينتمي إليها الفرد وولد فيها وتعزيز الافتخار بالانضمام إليها، ومفهوم المواطنة هذا ينطبق على مفهوم المواطنة في الحقبة ليونانية، فالمواطن هو "يكون منتما للمدينة أبا عن جد ويعيش فيها، وهم المواطنون الذين تتوفر فيهم شرطين الميلاد لأب وأم أثينين (قانون عام 451 ق.م)"¹⁸ فكل من لا ينتسب إلى أبوين يونانيين سيعاني التهميش وستمنح الحقوق لفئة دون الأخرى.

وعن المفهوم الثاني المواطن: فكل مواطن ينتمي إلى أرض الأم أي إلى الوطن له حقوق مثله مثل أي مواطن آخر يقاسمه الانتماء إلى هذه الأرض وعلى المواطن الطاعة والولاء لوطنه أي الاحترام والامتنان لمبادئ وقيم وطنه والامتنان لما ينص عليه الواجب والدستور.

وإذا كانت المواطنة الكلاسيكية مرتبطة بمفهوم الولاء والانتماء إلى الدولة الوطنية أو الدولة القومية فإن دلالة المواطنة في الحقبة المعاصرة اتخذت منحى آخر في ظل تأثير ظاهرة العولمة، وأصبحت لها دلالة عالمية "المواطنة العالمية تتسع وتتعدى الرقعة الصغيرة لتشمل العالم أجمع بعيدا عن حصر ذلك بجغرافية الأرض ليحل محلها ثقافة الشعوب والمواطنين العالميين المنتمين للأرض والطبيعة والعالم أجمع"¹⁹.

والمواطنة لم تعد مفهوما ضيقا ينحصر في رقعة جغرافية صغرى بل تعداها إلى ما يسمى بالقرية العالمية، أي ثم الانتقال من المجتمع المدني إلى المجتمع العالمي، ومن السياسة المحلية إلى السياسة العالمية، ومن الدولة الإقليمية إلى الدولة الكونية والعالمية بمختلف أبعادها ومجالاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية والثقافية ومن الفلاسفة الذين تحدثوا عن المواطنة العالمية إلى جانب يورغن هابرماس، ويل كيميلكا في كندا. فمادام يعني هابرماس بالمواطنة العالمية وبالضبط المواطنة الدستورية Le patriotisme constitutionnel.

- مفهوم المواطنة عند هابرماس:

في كتابه الاندماج الجمهوري L'intégration républicaine تحدث عن أشكال الاندماج الاجتماعي والسياسي الذي يتجاوز حدود الدولة الأمة والتي قامت على اللغة والدين والتاريخ وأسست للهوية الوطنية.

ولقد اقترح هابر ماس مفهوم المواطنة الدستورية أو الوطنية الدستورية باعتبارها مواطنة منفتحة على العالم وخارقة لحدود الدولة الأمة، فالمواطن ليس هو من ينتمي إلى أرض الوطن من يشعر بالولاء والانتماء تجاهها بل المواطن هو من يحترم دستور الوطن والإخلاص الوحيد هو للدستور ومبادئه "اليوم مفاهيم ... المواطنة لم تعد تستخدم فقط لوصف الانتماء والانتساب إلى تنظيم الدولة ولكن أيضا الامتثال لهذا التنظيم المحدد لقوانين وواجبات المواطن"²⁰.

فلقد تجاوز هابر ماس مفهوم المواطنة المرتبط بمفهوم الدولة الأمة Etat-Nation لأن مفهومها يرتبط ارتباطا وثيقا بمعنى الانتماء إلى الوطن وإلى الدولة القومية القائمة على أساس عرقي وعلى علاقة متميزة بين الحاكم والمحكوم، فلم تعد السيادة للحاكم كما كانت عليه من قبل في فترة القرون الوسطى وفي الأنظمة الديكتاتورية والملكية، والمواطنة ارتبطت بالسيادة الشعبية لا بسيادة الحاكم ويرجع الفضل في تطوير مفهوم المواطنة إلى "جان جاك روسو" فالسلطة في نظره لا ترجع إلى الحاكم والسيادة للشعب، وإنما الشعب هو صاحب السيادة والسلطة وهو مصدرها انطلاقا من مبدأ الإرادة العامة "فمفهوم المواطنة تطور انطلاقا من مفهوم روسو حول تقرير المصير في بداية الأمر فهنا السيادة الشعبية كتقيد، أو كقلب لسيادة الملك المؤسسة على عقيدتين الشعب والحكومة، وبالمقابل روسو وكانط لم يفهموا السيادة الشعبية لا كتحويل من أعلى إلى أسفل لقوة الهيمنة ولا كتقسيم للهيمنة بين فريقين"²¹ -ووجد هابر ماس في مفهومي كانط وروسو حول السيادة الشعبية نوع من الخصوبة لإثراء مفهوم المواطنة لديه، فالولاء للسيادة الشعبية ولسيادة الدستور ومبادئه وليس لسيادة مفاهيم ما قبل سياسية Pré politique من دين، ولغة، وتاريخ، وأمة، ولعل من أهم الأسباب التي جعلت هابر ماس ينتقد المواطنة الكلاسيكية ويستبدلها بالمواطنة

الدستورية هو تحديات ظاهرة العولمة والهجرة المتزايدة لمختلف الشعوب نحو أوروبا "ولهذا نجد مناصري الوطنية الدستورية في الاتحاد الأوروبي يؤكدون على أهمية تعزيز الحقوق الأساسية للمواطن والاحتكام إلى مبادئ الدستور لتحقيق المزيد من الاندماج بما في ذلك إدماج المهاجرين"²² -وعليه فإن هابر ماس تحدث عن مواطنة اقترنت بالحقبة المعاصرة، واستبعدت مفهوم المواطنة الإغريقي وكذا الكلاسيكي، فهي مواطنة تجاوزت الثقافة الواحدة والديانة الواحدة واللغة الأصلية إلى التعددية الثقافية، واختلاف اللغات والأديان، وارتكزت على مبدأ الحوار والتواصل بين مختلف الأجناس من مختلف الأعمار والفئات، وعلى مبدأ التفاهم والعيش المشترك كما تركزت على مبدأ السياسة التداولية أو التشاورية Politique délibérative لضمان حقوق الإنسان منها الحرية، العدالة والأمن والسلام لخلق مواطن عالمي يحترم الإنسانية جمعا "تقتضي الوطنية الدستورية كما يتصورها هابر ماس من المواطنين التماهي مع مبادئ مجردة قانونية أو دستورية ذات صدى كوني، مثل العدالة، الديمقراطية وحقوق الإنسان، وليس وفق عناصر عضوية كتلك التي تقوم عليها الأمم، بهذا تبتعد هذه الوطنية عن كل انتماء للجماعة القومية"²³

-العدالة: La Justice

تعتبر العدالة من المفاهيم السياسية ومن القيم الإنسانية التي يسعى دوما الإنسان إلى تحقيقها ومن المطالب الأساسية الصعبة المنال، فهي المثال الأعلى لكل شعب يطمح في تغيير الواقع الإنساني المستبد، وتحقيق تجمع خال من كل أشكال الظلم والتعسف، فما هي أنجع وسيلة وأسلم حل لتحقيق ذلك؟ وما المقصود بالعدالة؟

-معنى العدالة:

العدالة في اللغة تعني الاستقامة، وفي الشريعة الاستقامة على طريق الحق، والبعد عن ما هو محظور... وملازمة التقوى، والبعد عن الأفعال الخسيسة ويعرفها الجرجاني: "العدالة مرادفة للعدل باعتباره مصدرا، وهو الاعتدال والاستقامة والميل إلى الحق وهو الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط"²⁴

-فالعادلة في معناها مناقضة تماما للظلم والجور والفساد، والانحراف، وهي مطابقة للمبادئ والقيم الأخلاقية التي ينبغي أن يكون عليها كل سلوك إنساني من إنصاف واعتدال واتزان، وصدق... وغيرها من القيم وضد كل ما هو غير أخلاقي.

-وعند الفلاسفة هي : "المبدأ المثالي أو الطبيعي، أو الوضعي الذي يحدد معنى الحق ويوجب احترامه وتطبيقه"²⁵ ويقتضي مفهوم العدالة مفهوم الحق أي كل ما يستطيع أن يطالب به الإنسان ويقابل الحق مفهوم الواجب أي كل ما يُطالبُ الإنسان بأدائه فهي مبدأ مثالي، كونها قيمة إنسانية وأخلاقية مثلى وسامية، ومبدأ طبيعي أقرتها الطبيعة من منطلق الحقوق الطبيعية، فالإنسان البدائي كان يعيش على قدم المساواة بينه وبين الآخرين، يشتركون ويتساوون في جميع الحقوق الطبيعية، ومبدأ وضعي فرضته القوانين والدساتير ونصت عليه وطالبت باحترامه وتطبيقه.

-ولقد أوضحت الماركسية "مفهوم العدل وقاسمته في علاقته بالحاجات الحيوية للتطور الاجتماعي الطبيعي، وتربط الأخلاق الماركسية بين مفهوم العدل، وفكرة تحرير المجتمع من الاستغلال، والاشتراكية وحدها هي التي تخلق علاقات عادلة أصيلة من المساواة والصدقة الأخوية، والتعاون بين جميع الناس، ويبلغ العدل الاجتماعي ذروته في المجتمع الشيوعي الذي تختفي فيه كل آثار الفروق الاجتماعية والاقتصادية"²⁶، فالعدل من المنظور الماركسي يرتبط بمقاومة أشكال الاستبداد والاستغلال الممارس من قبل الطبقة الرأسمالية على الطبقة العاملة، أو كما يسميها ماركس البنية التحتية، وتحقيق العدالة يرتبط لا محالة بتطبيق النظام الاشتراكي المنادي للعدل والمساواة بين جميع الفئات، ومنه فإن مبدأ العدالة إنما يكمن في مراعاة المساواة الموجودة بين البشر، وتحقيق العدالة المثلى عندما تختفي جميع الطبقات التي تلزم إخفاء الملكية الخاصة وزوال الدولة.

معنى العدالة عند هابرماس:

إن الحديث عن مفهوم العدالة لدى هابرماس يحيلنا لا محالة إلى الحديث عن المناظرة التي جرت بينه وبين الأمريكي

"جون رولز" John Rauls (1921-2002) وتظهر هذه المناظرة اقتراب هابرماس من الحقل السياسي الأمريكي، وتأثره بأعمدة الفلسفة الأمريكية من بينهم "ريتشارد رورتي"، وكذا "جون رولز" ورغم وجود تباين بين الاثنين (هابرماس-رولز) إلا أن هذا الاختلاف لا يعدوا أن يكون خلافا عائليا، ذلك أن رولز يثني على الانتقادات التي قدمها له هابرماس بشأن نظريته حول العدالة، والتي مثلت إسهاما بارزا في إعادة كتابة مؤلفه «العدالة بوصفها إنصاف» يقول هابرماس: «بقدر ما أنا معجب بهذا المشروع (مشروع رولز)، نتقاسم القصد المشترك، ونعتبر نتائجه صحيحة والاختلاف الذي جرى بيننا مجرد خلاف عائلي في إطاره الضيق»²⁷

-ويظهر من خلال تتبع هذا الحوار أن كلا الفيلسوفين اهتمتا بالفلسفة الأخلاقية لكانط من حيث عالميتها وكونيتها، لكن هذا لا يمنع من نقد الفلسفة العملية الكانطية، خصوصا وأن الأخلاق الكانطية تقوم على مبدأ الاستقلال الذاتي للفرد، أي يتصرف هذا الأخير بصفة مستقلة عن غيره كأساس للقوانين الأخلاقية، وهو ما يجعل الأخلاق الكانطية ذاتية، مستبعدة الآخر ودوره في الاتفاق حول القيم والمبادئ التي تعد بمثابة قوانين عامة تسيّر وفقها سلوكيات الأفراد، وميزه رولز في نظر هابرماس هو أنه استطاع أن يؤول مبدأ الاستقلالية إلى مبدأ العمومية فكل المواطنين اتفقوا على قوانين ويخضعون لها «إن الاستقلالية التي يدعو إليها رولز هي استقلالية كاملة أو تامة وهي استقلالية خاصة بالمواطنين اللذين يعيشون في ظل مؤسسات مجتمع، محكم التنظيم، وهو مجتمع يتسم بسيادة القانون النابع من الإرادة الجماعية والعلاقة فيه بين المواطنين قائمة على الندية»²⁸

-إن السبيل لتحقيق العدالة في نظر هابرماس هو حل الصراعات والنزاعات الموجودة بين الأفراد عن طريق الحوار العقلاني، والمناقشة الحجاجية، وبمشاركة الجميع، فلا بد من إعطاء الحق لكل الأفراد في المشاركة الفعالة في المجتمع والسياسة وضمان مبدأ المساواة، ووضع القوانين باتفاق من الجميع فالعدالة في نظر هابرماس ترتبط ارتباطا وثيقا بأخلاقيات النقاش، بوصفها أخلاق عملية، هدفها تفعيل

قائمة المصادر

- ¹ - جميل صليبا: المعجم الفلسفي، الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر، د.ط. 1979، ص 229.
- ² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- ³ - ابن منظور: لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، المجلد الثاني، بيروت، لبنان، 1988، ص 170.
- ⁴ - فتحي التريكي: الهوية ورهاناتها، تر: نور الدين الساقى، الدار المتوسطة للنشر، تونس، ط 1، 2010، ص 36.
- ⁵ - فتحي المسكيني: الهوية والزمان، تأويلات فينومولوجية لمسألة النحن، دار الطليعة، بيروت لبنان، ط 1، 2001، ص 21.
- ⁶ - يورغن هابرماس: بعد ماركس، تر: محمد ميلاد، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط 1، 2002، ص 34.
- ⁷ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- ⁸ - يورغن هابرماس: بعد ماركس، مصدر سابق، ص 35.
- ⁹ - الناصر عبد اللاوي: الهوية و التواصلية في تفكير هابرماس، دار الفارابي بيروت، لبنان، ط 1، 2012، ص 65.
- ¹⁰ - يورغن هابرماس: بعد ماركس، المصدر السابق، ص 36.
- ¹¹ - المصدر نفسه الصفحة نفسها.
- ¹² - فتحي المسكيني الكوجيطو المجروح، أسئلة الهوية في الفلسفة المعاصرة منشورات ضفاف بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2013، ص 180.
- ¹³ - يورغن هابرماس: بعد ماركس، مصدر سابق، ص 40.
- ¹⁴ - المصدر نفسه، ص 42.
- ¹⁵ - الناصر عبد اللاوي، "الهوية والتواصلية في تفكير هابرماس" مرجع سابق، ص 148.
- ¹⁶ - جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء الثاني، من (ط) إلى (ي)، مرجع سابق، ص 439.
- ¹⁷ - المرجع نفسه، ص 580.
- ¹⁸ - شريف الدين بن دوبة، اليونوبيا والمواطنة، من المشترك الأخلاقي إلى التفرد الإثني، ابن النديم للنشر والتوزيع الجزائر، دار الروافد الثقافية - ناشرون، لبنان، ط 1، 2017، ص 52.
- ¹⁹ - أماني جرار: المواطنة العالمية، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط 1، 2011، ص 46.
- ²⁰ - Jurgen Habermas : L'intégration Republicaine, Essais de théorie politique, tr : Rainer Rochlitz, Ed: Fayard, France, 1998, p 74.
- ²¹ - Jurgen Habermas : L'intégration République, Ibid., p 72.
- ²² - محمد عبدالسلام الأشهب، أخلاقيات المناقشة في فلسفة التواصل لهابرماس، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ط 1، 2013، ص 224.

الحوار، وتنظيمه لتأسيس مجتمع عادل يؤمن بالحق كحق شرعي، في ظل دولة الحق والديمقراطية L'état de droit Démocratique «إن أخلاق التخاطب تعد بوصفها تطويراً للأخلاق الكانطية وحلاً لمشكلات تجريدتها المثالية في سياق فلسفته الخاصة التي أطلق عليها نظرية الفعل التواصلية بديلاً أكثر نجاعة عند التفكير في العدالة بوصفها قيمة معيارية شاملة إنسانية عالمية لا سياسية فحسب»²⁹.

-وتقوم العدالة على علاقة بين ذاتية بين المواطنين لا يخضع فيها أي طرف لآخر بل الكل يخضع للقانون المنظم لهذه العلاقة ولعلاقة الحاكم بالمحكومين وأساس هذه العلاقة الاحترام والتقدير «فلكلا الفيلسوفين الرغبة في إعطاء ومنح تبرير بطريقة مناسبة لدولة الحق والديمقراطية وللجميع»³⁰، وإيمان هابرماس بدور الحق في تأسيس مجتمع عادل جعله ينتقد أولوية الخير على العدل، فالعدل في نظره أحق بالاتباع من الخير، فحقوق وواجبات الأفراد وحياتهم لا بد أن تحدد سلفاً ولأن العدالة والحق يقودان الإنسان للقيام بالخير، والمجتمع العادل هو مجتمع خير لا محالة ويؤيده في هذا الطرح جون رولز «يمكننا أن نطرح مسألة التطابق بين نظرية العدالة كنصاف وبين نظرية الخير كعقلانية، إذ يبدو أن كل نظرية منهما تحيل إلى الأخرى داخل سياق المجتمع العادل، ذلك أن مشروع الحياة العقلاني في إطار هذا المجتمع يصب تلقائياً في دعم وترسيخ حس العدالة»³¹.

-إن المناظرة التي جرت بين قطبين من اقطاب الفلسفة السياسية لها أهمية لا يمكن إغفالها في إثراء فلسفة كل منهما ومراجعة لنظرياتها السياسية، إذ نلمس الحضور القوي للفلسفة السياسية الأمريكية في مثنون الفلسفة الهابرماسية والتي تظهر تأثره بمجتمع قائم على التعددية الحزبية، وعلى تجميد الديمقراطية والدفاع عن حقوق الإنسان، وهو ما افتقر إليه المجتمع الألماني خاصة في فترة الحكم النازي مما حدى بهابرماس إلى تغيير العديد من المفاهيم وإعطائها معان مغايرة، منها المواطنة الدستورية والهوية ما بعد وطنية، والحق الشرعي، وغيرها من المفاهيم التي تشكل أساس فلسفة هابرماس المتأخرة (السياسية).

- ²³ - عبد العزيز ركح: ما بعد الدولة- الأمة، عند يورغن هابرماس، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011، ص 147.
- ²⁴ - جميل صليبا، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص 58.
- ²⁵ - جميل صليبا، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص 58.
- ²⁶ - م. روزنتال، ب. بودين: الموسوعة الفلسفية، مرجع سابق، ص 293.
- ²⁷ - Jurgen Habermas et John Rauls : Debat sur la Justice Politique tr : Rainer Rachlitz, édition du cerf, paris France 1997, p10.
- ²⁸ - محمد عبدالسلام الأشهب: العدالة السياسية، مناظرة هابرماس، رولز ضمن كتاب سؤال العدالة في الفلسفة السياسية المعاصرة، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 179 كلية الأدب والعلوم الإنسانية الرباط المغرب، ط1، 2014، ص 129.
- ²⁹ - محمد عثمان محمود: العدالة الإجتماعية الدستورية في الفكر الليبرالي السياسي المعاصر، بحث في نموذج رولز، المركز الغربي للأبحاث ودراسة السياسات ط1، 2014، ص 322.
- ³⁰ - Yves Sintomer : La Demovratique impossible ? pomitique et madernité chez Weber et Habermas, ed : la decouverte paris France, 1999, p262.
- ³¹ - محمد الهاشمي: نظرية العدالة عند جون رولز نحو تعاقد اجتماعي مغاير، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2014م، ص 198.